محاورات المـــوتى

المحاورة الأولى

للأديب الفرنسي برنار بوفيه دفونتنيل (*)

بقلم الأديب يوسف روشا

اسكندر وفرين

فرين : عاهرة مشهورة عاشت فى أثينا حوالى سنة ٣٢٣ ق . م . وكانت حظية ليزا كستلس الذى أخذ رسمها . ويقال إن أبلس رسم صورته « فينوس » بعد أن رأى فرين عند ساحل البحر عارية وقد أسدلت شعرها المنضود . لقد غدت فرين ، بفضل سخاء عشاقها الكثيرين ، غنية إلى حد أنها رغبت فى إعادة بناء طيبة التى دمرها اسكندر على نفقتها ، ولكن رغبتها لم تجب

رودوب : حظية يونانية مشهورة جمعت ثروة طائلة ؛ ورغبة منها فى تخليد اسمها شيدت أحد أهرام مصر

اسكندر الثالث : الملقب بالكبير ولد سنة ٣٥٥ ق . م . كان تلميذاً لأرسطو لخمس سنوات ، وهو الذى دمر طيبة وأعلن الحرب على الفرس وغزا آسيا الصغرى ، وبسط سلطانه على مصر وسوريا وفارس . توفى فى بابل سنة ٣٢٣ بعد حكم دام اثنى عشرة سنة أحرز فى أثنائها انتصارات متوالية بارعة

ديموستين : خطيب أثينى شهير قال عنه شيشرون — وقد كان ندا له بين الرومانيين — إنه شخصية فذة قلما يجود التاريخ بمثلها

المحاورة :

فرين : لو أنك سألت جميع سكان طيبة الذين عاشوا فى زمانى ، لقالوا لك كيف عرضت عليهم إعادة بناء جدران طيبة التى دمرتها أنت على نفقتى ، بشرط أن يقيموا لى نصباً يكتب عليه هذه العبارة : « لقد دمر اسكندر الكبير هذه الجدران ، ولكن الزانية فرين أعادت بناءها »

اسكندر : إذن أنت خائفة من أن تجهل الأجيال القادمة الحرفة التى كنت تمارسينها ؟

فرين : وماذا علىّ من ذلك ؟ لقد بلغت بها الذروة . وإن لكافة الممتازين من الناس ، مهما تكن حرفتهم ، لولعاً جنونياً بالأنصاب

اسكندر : صحيح أن لرودوب نصباً قبالك ؛ فقد عرفت كيف تستغل جمالها لتبنى أحد أهرام مصر الشهيرة ، ولا يزال قائماً حتى الآن . وأذكر أنها كانت أمس تتحدث عنه إلى أطياف بعض الفرنسيات اللاتى كان لهن — على زعمهن — رقة وجمال ، فأخذن ينتحبن قائلات : إن الجمال فى بلدهن ، وفى العصر الذى عشن فيه ، لم يكن ليجلب ثروة كافية لبناء هرم

فرين : ولكنى أمتاز عن رودوب بأنى أعدت بناء جدران طيبة ، وبذلك جعلت نفسى فى صفك أنت الذى كنت أعظم فاتح فى العالم . ألا ترى كيف استطاع جمالى أن يصلح ما أنزلته شجاعتك بالبلاد من تخريب وتدمير !

اسكندر : انت تتطرقين إلى شيئين ليس إلى عقد المقارنة بينهما من سبيل . إذن أنت فخورة أن يذاع عنك بأنه كان لك عشاق كثيرون ؟

فرين : وأنت ، ألست فخوراً بتدميرك أكبر قسم من العالم ؟ لو أن فى كل مدينة خربتها (فرين) لما بقى أقل أثر لجنونك

اسكندر : لو قدر لى أن أعيش مرة أخرى لما تمنيت أن أكون إلا فاتحاً عظيما

فرين : وأنا لو رجعت إلى الحياة لما تمنيت إلا أن أكون عازية للقلوب . إن للجمال حقاً طبيعياً فى السيطرة على الرجال على حين أن الشجاعة تفرض حقها على الناس بالقوة والبطش . فالنساء الجميلات عرش فى قلوب الناس قاطبة مهما تكن جنسياتهم ؛ ولا كذلك

(*) ولد برنار بوفيه دفونتنيل فى روان فى اليوم الحادى عشر من شهر فبراير ١٦٥٧ وتوفى فى باريس عن مائة سنة . وكان أبوه محامياً مقيما فى روان وأمه أخت بيير كورنى

بدأ حياته محامياً نزولا على رغبة أبيه ، ولكنه لم يلبث أن ترك المحاماة واشتغل بالأدب وألف دفونتنيل عدة مسرحيات أخفقت كلها ، ولكنه لم يكد يخرج «محاورات الموتى» حتى بزغ نجمه وانتشرت شهرته وهذه المحاورات خمس سننشرها تباعاً

مسألة عند الدكتور طه حسين ، ولا أنا أستجيز استغلال النقد الأدبى لنقمة شخصية ، ولا أنا أقبل عطفاً من أى إنسان فى أى حال . والدكتور طه نفسه يعرف هذا الجانب من أخلاقى ، ويعرف أنى لا أقبل منه ولا من غيره أية مساعدة ، لأنى أغنى منه ومن جميع الناس ، بفضل النعم التى يسوقها الله إلىّ بغير حساب ، وأنا أخشى أن تقتلنى هذه النعم ، كما تصنع الأزاهير والرياحين بمن يعانقها فى ليلة صفاء

زكى مبارك

١٥ - ٢٢

الملوك والفاتحون . ولأقنعك أكثر من هذا أقول : إن أباك فيليب، الذى كان شجاعاً مقداماً كما كنت أنت، لم يستطع هو وأنت أن تدخلا الرعب فى قلب الخطيب المصقع ديموستين الذى قضى حياته كلها يخطب ضدكما ، على حين أن قرين أخرى كانت ذات مرة على وشك أن تخسر قضية هامة جداً ، وإذا بجمالها ، وقد بذل لأجلها كل ما يملك من الفصاحة والبلاغة بلا جدوى ، يرفع عن وجهها النقاب فيبهر جمالها الحكام فيحكمون لها أن أوشكوا أن يحكموا عليها . ألا ترى كيف أن صلصلة أسلحتك كل هذه السنين التى حكمتها لم تقو على كم فم خطيب واحد ، على حين أن سحر فتاة جميلة أفسد فى لحظة حكام أراكوس القساة

اسكندر : بالرغم من استفحادك بقرين أخرى فإنى لا أعتقد أن جانب اسكندر قد ضعف كثيراً . ومما يدعو إلى الأسف أنه لو ...

قرين : أعرف ما تريد أن تقوله : اليونان ، آسيا ، فارس ، الهند ... كل ما من شأنه أن يبهر العالم بالطنين والرنين . ومع هذا إذا أنا أسقطت من مجدك كل ما ليس لك ، فأعدت إلى جنودك وقوادك ، وحتى إلى الحظ الذى ساعدك ، نصيبهم من الظفر الذى هم له أهل ، فهل تعتقد أنك لن تخسر بذلك كثيراً ؟ ولكن المرأة الجميلة لا يشاركها أحد فى غزواتها ، فليس لأحد عليها فضل ، بل الفضل كله لها . أقول لك الحق إنه لمركز جميل ... مركز المرأة الحسناء

اسكندر : يظهر أنك جد مقتنعة بما ذهبت إليه من أمر هذه المرأة الحسناء . ولكن أتتصورين حقاً أنها تصل إلى هذا الحد الذى وصفت ؟

قرين : كلا ... كلا ... فسأكون منصفة معك . أنا أعترف بأنى قد أسأت وصف شخصية المرأة الحسناء كل الإساءة . أنا وأنت ... لقد كانت لنا غزوات وغزوات . فلو كنت اكتفيت بعشيقين أو ثلاثة على الأكثر لكان ذلك من طبيعة الأشياء ، وليس ثمة ما يدعو إلى الانتقاد . أما أن يكون لى من العشاق جيش أستطيع معه إعادة بناء طيبة فشطط ما بعده شطط . ولو أنك كذلك لم تغز سوى اليونان والجزر المجاورة وقسم من آسيا الصغرى ، إذا لم يكن من ذلك بد ، وأسست لك منها مملكة لكان ذلك مفهوماً معقولاً . أما أن تخبط خبط عشواء فتأخذ المدن دون أن تعلم لماذا تأخذها ، وتفرغ من غزو إلى غزو من غير أن يكون لك خطة معينة أو هدف معقول ؛ كل ذلك لا تستسيغه العقول النيرة

اسكندر : ليقل أصحاب العقول النيرة ما يشاءون . فلو أنى استعملت شجاعتى وحظى بحكمة لما تحدث عنى أحد

قرين : وأنا أيضاً لو كنت استعملت جمالى بفطنة لما ظفرت بهذه الشهرة الواسعة . على أنه كلما أريد إحداث ضجة فى العالم ، فليس أحصف الناس وأعقلهم هم الذين يصلحون لها .

(بغداد) يوسف سوسا

الأستاذ أبو خلدون ساطع الحصرى

يقدم

إلى المربين والمعلمين والوالدين والمفكرين كتابه الجديد

آراء وأحاديث

فى

التربية والتعليم

وهو خلاصة مطالعات ، ونتيجة مشاهدات ، وزبدة تجارب ، فى ترتيب منطقى وأسلوب سهل وصورة مشوقة . والقسم الثالث منه خاص بنظام التعليم فى مصر ونقده وبحث مشكلة التعليم الإلزامى فيه

يباع فى إدارة مجلة الرسالة وفى سائر المكاتب الشهيرة

وثمنه ثلاثون قرشاً عدا أجرة البريد